

منهج
كتيب تعليم الصيام
1-مقدمة باب الصيام
للشيخ ياسر البرهامي
حفظه الله
كتيب تعليم الصيام



بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم،
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.
أما بعد: فنبدأ ذكرى فقه الصيام من كتاب فقه السنة، للأستاذ سيد سابق رحمه الله تعالى.

*تعريف الصيام :

قال: الصيام يُطلق على الإمساك، قال الله تعالى عن مريم عليها السلام: {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا} [مريم/26])، أي إمساكاً عن الكلام، والمقصود به هنا الإمساك عن المُفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية، وهذا لقول الله تبارك وتعالى: {فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وابتغوا مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُو وَاشْرَبُو حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّو الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ} [البقرة/187]
مع النية، لقول نبينا ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات"متفق عليه.

*فضل الصيام :

في فضل الصيام، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺقال:قال الله عز وجل: "كل عملِ ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به, الصوم جُنة فإذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إني صائم (مرتين)، فليقل إني صائم إني صائم والذي نفس محمدٌ بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه" رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي.
قول الله عز وجل: "كل عمل ابن آدم له" أي يجازى العبد بأعماله إلا الصيام فإنه لا يعلم قدر تضعيفه إلا الله، "إلا الصيام فإنه لي "، أي هو عز وجل الذي يضاعفه كيف يشاء، ذلك لأن الصوم من الصبر وقد قال عز وجل: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر/10]
وهذا قد ورد في أحاديثٍ في رواية هذا الحديث توضيح هذا المعنى، وهو أنه قال النبي ﷺ: "قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم يُضاعف له الحسنة بعشر أمثالها، قال الله عز وجل: إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به"، أجره مُدخر عند الله سبحانه وتعالى، أجره لا يعلمه إلا الله عز وجل، وهذا يشمل كل أنواع الصيام.
وقال بعض العلماء: "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي" بمعنى لا يدخله الرياء وهو غير صحيح، فإن الصيام قد يدخله الرياء إذا تكلم الإنسان به ورغب في مدح الناس له، وكل عمل يمكن أن تدخله نية الرياء، أو ابتغاء غير وجه الله تعالى عز وجل، نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص.

"كل عمل ابن آدم له إلا الصيام "، أنه يدخل في المقاصة يوم القيامة إلا الصيام فإنه لا يدخل، هذا أيضاً ضعيف، لأن النبي ﷺ لا مقاصة بين العباد، القصاص بين العباد، وذكروا أن: "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام" بمعنى في تكفير السيئات، وأن الصيام لا يدخل في ذلك ولا يكون في مقابل السيئات، فإن الحسنات تقابل السيئات، وقد يذهب ثواب الحسنات لوجود سيئات، وهذا يستدل على ضعفه بقول النبي ﷺ في الفتنة: "فتنة الرجل في أهله وماله وولده تكفرها الصلاة والصوم والصدقة " رواه البخاري 525، مسلم 144، الترمذي 2258، ابن ماجة 3955، أحمد 22769..

لذلك نقول أن أصح الأقوال في تفسير "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام":
أنه في المضاعفة، يُضاعف له الحسنة بعشر أمثالها إلا الصيام فإنه لله ،تشريفا للصيام وأجره مضاعف بقدرٍ لا يعلمه إلا الله.

وإذا قال الغني الكريم الذي لا يُخلف الوعد أنا أجزيك بهذا، ولم يحدد قدراً، كان ذلك أكثر ترغيباً، لأنه إذا لم يُحدد قدراً عُلم أن عطاءه فيه كثيرٌ جداً مضاعفٌ فوق الأضعاف المعروفة.

قال النبي ﷺ : "والصيام جُنة "، أي وقاية، كالتُرس الذي يتقي به المقاتل سلاح الأعداء، فهو وقاية من المعاصي، ولذا فهو وقاية من النار، مانعٌ من المعاصي التي يرميك بها إبليس وأعوانه وجُنده فهم يرمونك يرغبونك في المعصية، والصيام يُعينك الله عز وجل به على أن تتقي هذه السهام المسمومة من سهام إبليس، لذلك كان وقاية من المعاصي وكان وقايةً من النار.
قال ﷺ : "فإذا كان يوم صوم أحدكم -نفلاً كان أو فرضا، لعموم يوم صوم نكرة في سياق الشرط- فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، الرفث: الفاحش من القول، ويطلق على جِماع النساء، وكلام الرجل المرأة فيما يتعلق بالجماع، ومعظم السب والفُحش في الكلام مردّه إلى ذكر العورات، والفروج، وأغلظ ما يُسب به الناس ما يُذكر من أمر الفروج، ولذلك حصل توافق بين معنى الفُحش بالقول وبين الجماع وكلام الرجال النساء فيما يتعلق بذلك، فيُنهى عن كل فاحش من القول أثناء الصيام تأكيداً للمحافظة على هذه العبادة، وإن كان الرفث الفُحش من القول منهي عنه في غير الصيام لكنه في الصيام هكذا، ولا يصخب الصخب: الصياح ورفع الصوت، تعويد للمؤمن أن يكون متأدباً بالأداب الثنية والأخلاق السوية، الصيام يُعوّده عليها، لأنه إذا كان صائماً امتنع تأكيداً وامتثالا لتأكيد النبي ﷺ النهي عن الصخب والصياح، ولا يجهل لا يتعامل مع الآخرين معاملة الجاهل بأن يرد على الإساءة بالإساءة أو بأكثر منها، فإنما يدفع بالتي هي أحسن السيئة، فإن شاتمه أحد أو قاتله طلب مشاتمته بأن شتمه، لأنه يريد أن يرد عليه ليزداد الأمر بينهما حدة وخصومة، وكذا قاتله طلب مقاتلته فليقل على ظاهر الحديث فليقل بلسانه إني صائم إني صائم.
وبعض العلماء يقول إن كان في فريضة رمضان صرح بلسانه وجهر بذلك، وإن كان في نافلةٍ قال ذلك لنفسهِ سرا، والذي يظهر أنه لا مانع أن يقول ذلك فرضاً أو نفلا، ليرتدع خصمه كذلك، وأما أمر الرياء الذي قد يُخشى منه في النافلة فعليه أن يجاهد نيته، وأما ما أحدثه الكثيرون من أن يقول إني ممسك، فهو خلاف ما ينبغي كلمة ممسك كأنه يريد أن لا يقول إني صائم وهذا يُفهم منه أنه صائم، ويريد أن يمتنع عن إظهار ذلك، ويُخشى أن يكون فيه مزيد رياء، نسأل الله العافية، لكن يجاهد نيته، ويقول بلسانه إني

صائم إني صائم.
الظاهر أن يقول جهراً ويجاهد نيته، كما ذكرنا في فائدة في ذكر الكلمة أن يسمعها الخصم ليرتدع، لذلك سوف يكون أبعد عن جرأته في مزيد من المقاتلة والمشاتمة.
"والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم "، أي تغير رائحة جوفه بسبب الصيام.

قول النبي ﷺ: "لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك "، على ظاهره وقد ذكرنا عقيدة أهل السنة مرات في أن نصوص الصفات تُمر كما جاءت، هي طيبة عند الله عز وجل، والله يجعلها يوم القيامة أطيب من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحمهما هذا دليل على أن الصيام من أعظم علاج الاكتئاب والحزن والضيق وهذا أمرٌ مُجرب عند أهل الإيمان عبر العصور، فمن كان حزينا كئيبا فليُوصى بالصيام حتى يفرح، وفرحه مضاعف، إذا أفطر فرح بفطره، وهو قد وجد حاجته مع كمال العبادة، وهذا من أعظم ما يسعد المؤمن أن تمت له العبادة على ما يحب وعلى ما أمر به ربه عز وجل وفي نفس الوقت وجد حاجته من الطعام والشراب وما كان يشتاق إليه، وهو بذلك يُدرك نعمة الله عليه في توفيقه للعباد وفي توفيقه له بما رزقه من الطعام والشراب، فيعرف نعم الله عز وجل عليه فيحمده، وبذلك ثبت في الحديث أن يقول " ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله "أخرجه أبو داود العلامة الألباني رحمه الله تعالى قال : (حسن)، فكما ذكرنا المعنيان في هذا الذكر حاصلان، أنه ثبت الأجر إن شاء الله بتمام العبادة وفي نفس الوقت يجد حاجته، ذهب الظمأ، الألم الذي كان حاصلاً في الصيام بسبب الظمأ ذهب، وابتلت العروق، فكل أنواع آلام الدنيا تذهب ويثبت الأجر إن شاء الله، وإذا لقي ربه فرح بصومه إذا جازاه الله عز وجل عليه، رواية البخاري "الصيام جُنة فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم مرتين والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي "، أي يقول الله عز وجل: الصائم يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، وهذا لأنه يترك جماع امرأته كذلك جميع المفطرات، وهذا كله تشريف للصائم أعظم تشريف أنه يفعل ذلك لله عز وجل، فالله يجزيه به، وهذا دليل واضح على أن من لم يترك شهوته واستمنى في نهار الصيام أفطر، لأن الصائم لابد أن يدع طعامه وشرابه وشهوته، وأما الذي استمنى بيده أو بتقبيل زوجته أو بمداعبتها حتى أمنى، فإنه لم يترك شهوته بل حقق أعظم المقصود مثل لذة الجماع قريبا منها، فهذا يدل على أنه قد أفطر.
قال ابن قدامة لا أعلم فيه مخالفا، وغيره واحد من العلماء قد نقل اتفاقهم على أن من استمنى عمداً في نهار رمضان أو في نهار الصيام فقد أفطر ولا يخالف في ذلك إلا الظاهرية ومن المعاصرين الشيخ الألباني رحمه الله، وهذا خلاف لا يعتد به، والحديث دليل ظاهر على منع الاستمناء وأن المستمني مفطر عمداً.
قال الله عز وجل "يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها ".
فالصيام فوق هذه المضاعفات، الصيام أكثر من عشرة أمثال.

عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺقال: "لصيام والقرآن، يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أي ربي منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان" رواه أحمد في الصحيح.

القرآن هنا مقصود به فعل العبد، كما أن الصيام فعل العبد، فالقرآن هو هنا القراءة، هو الذي يأتي في صورة محسوسة، وفي بعض الروايات يقول ربي منعته النوم بالليل، ولا مانع لأن فعل العبد مخلوق ولا حجة فيه للمعتزلة والقائلين بخلق القرآن لأنهم لا يفرقون بين القراءة و المقروء، القراءة فعل العبد، والمقروء كلام الرب، وأهل السنة إنما يقولون: القرآن الذي هو كلام الله غير مخلوق، وأما قراءة العبد وفعله مخلوقة بلا شك، هذا دليل على أن الصيام والقرآن مرتبطان، كلما تمكن الإنسان من قراءة القرآن أثناء الصيام وفي ليله، كلما كان أكثر وأعظم لثوابه عند الله عز وجل، إذا شفعهما الله عز وجل فيه غفر له ونجاه بفضل الله سبحانه وتعالى بهما.

وعن أبي أمامة قال أتيت رسول الله ﷺ فقال: " مرني بعمل يدخلني الجنة، قال: عليك بالصوم فإنه لا عدل له (لا مثيل له)، (لا نظير له)، من أعظم العبادات تزكية للنفوس وتهذيباً لها وتحكماً في الشهوات، عبادة الصيام، فثوابه مضاعف، قال: ثم أتيته الثانية، قال: فعليك بالصيام" رواه أحمد والنسائي والحاكم وصححه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لا يصوم عبد يوم في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم النار عن وجهه سبعين خريفا" رواه الجماعة إلا أبا داوود.

اختلف العلماء في تفسير هذا الحديث فمنهم من قال لا يصوم عبد يوما في سبيل الله أي في الجهاد، على أن أكثر استعمال كلمة في سبيل الله استعملت في الجهاد، فإذا كان لا نقص عليه في جهاده بسبب الصيام استُحب له أن يصوم، ولقد كان النبي ﷺ يصوم في السفر وهو صائم، ويصوم الصحابة في الجهاد، وإنما عزم عليهم أن يفطروا يوم بدر، لأجل حاجتهم للفطر لكونه أقوى للجهاد.

والتفسير الثاني لا يصوم عبد يوما في سبيل الله أي ابتغاء وجه الله، وكل ما كان طاعة لله وابتغاء وجهه فهو من طريقه وسبيله عز وجل، وهذا الأجر المضاعف العظيم، باعد الله بهذا اليوم النار عن وجهه سبعين خريفا أي سبعين سنة بسيرٍ الله عز وجل أعلم به، هل سير الدواب، سير الإبل، سير مسيرة البرق، الله عز وجل أعلم، إلا أنه يُباعد بين وجهه وبين النار مسافة طويلة وهذا فضل الله ونحن نرجو أن يكون هذا الفضل لكل من ابتغى وجه الله في الصيام، نرجو من الله أن يكون الراجح هو القول الثاني في أن في سبيل الله أي ابتغاء وجه الله.

وعن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: "إن للجنة بابا يقال له الريّان يقال يوم القيامة أين الصائمون فإذا دخل آخرهم أغلق ذلك الباب" رواه البخاري ومسلم.

والذي يظهر أن أول من يُدعى من هذا الباب من واظب على صيام الفرض والتطوع، وأما من واظب عن الصيام الفرض فقط فهو في آخر من يدخل ، لكن طالما واظب على رمضان وعلى صيام الفرض عموما فهو ضمن من يدخل من هذا الباب، وأما من يُنادى منها فهو الذي يواظب على تكرار العبادة فرضاً ونافلة.

كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: "من أنفق زوجين في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان

"رواه البخاري.

فقال أبو بكر: يا رسول الله وما على أحد دعي من هذه الأبواب من ضرورة، أيضره أن يدعى من هذا أو ذاك، قال فهل يدعى منها أحد كلها؟
قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم.

فكونه يُدعى أكمل من كونه يَدخل، فيُدعى أي تدعوه الملائكة للدخول، تتشرف بدخوله من قِبلها، وهذا تشريفٌ للعبد أعظم تشريف، فكونه يُدعى لمواظبة من أنفق زوجين تكرر عمله بدليل قوله من كان أهل الصلاة، فالصلاة ليست في النفقة فقط، وإنما هي عبادة مستقلة، فدل ذلك على أن من أنفق زوجين معناه ليس نفقة في المال، ولكن تكرر منه العمل، ومعنى الزوجين أنه يتكرر منه ذلك، وورد في أبواب الجنة الأخرى باب الوالد، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: "الوالد أوسط أبواب الجنة " صحيح، رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، فالوالد، بر الوالدين أحد أبواب الجنة.
وورد باب التوكل أو الباب الذي يدخل أهله منه بغير حساب.

قال النبي ﷺ: "قال الله عز وجل: يا محمد ادخل من لا حساب عليهم من أمتك من الباب الأيمن من أبواب الجنة " البُخاريّ - الفتح (8/348 – 348) .
وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب.

وقال في السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب "الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولايتطيرون وعلى ربهم يتوكلون" رواه البخاري 5270.

فالباب الأيمن و باب الوالد والأربعة أبواب التي ذكرت في الحديث، ستة من الأبواب الثمانية، ولا نعلم نصاً صريحاً صحيحاً في البابين الآخرين، يمكن أن يكون باب التوبة، ويمكن أن يكون باب كظم الغيظ، وقد ذكر العلماء ذلك لكنني لا أعلم حديثاً صحيحاً في أن أبواب الجنة، البابان الباقيان يسميان بعمل من الأعمال، والله أعلم.
نسأل الله الجنة ونعوذ بالله من النار.

وفي الحديث الذي ذكرناه حديث أبي بكر فيه فضيلة عظيمة لأبي بكر أنه يُدعى من أبواب الجنة كلها، لأنه يسابق إلى كل أنواع الخير.

*أقسام الصيام:

قال الصيام قسمان فرض وتطوع، وتطوع سيأتي له ذكر قسم مستقل.

*صيام الفرض:

والفرض ينقسم إلى ثلاثة أقسام, صوم رمضان وصوم الكفارات وصوم النذر، كان ينبغي أن يُدخل نوعا رابعا وهو صوم قضاء رمضان، فإنه ليس كرمضان وإن كان في أحكامه ومن الفريضة، فمثلاً الإفطار عمداً في رمضان بالجماع وبغيره عند كثير من العلماء، فيه القضاء والكفارة، وأما في قضاء رمضان فليس كذلك، ففيه القضاء فقط، فصوم قضاء رمضان لمن وجب عليه القضاء من رمضان.

=صوم الكفارات:

أما صوم الكفارات فقد ورد الأمر في "كفارة قتل المؤمن" خطئاً إذا لم يجد رقبة، صيام شهرين متتابعين.

قال عز وجل: { فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ} [النساء/92].

ورد في "كفارة الظهار"كذلك فيمن ظاهر من امرأته ولم يجد إعتاق رقبة، قال: {فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا} [بالمجادلة/4]، وورد كذلك في المُجامع بل والمُفطر عمداً في رمضان، حديث أبي هريرة: أن رجلا أفطر في رمضان فأمره النبي ﷺ أن يعتق رقبة أو يصوم شهرين متتابعين أو يطعم ستين مسكينا"رواه الجماعة.
وسيأتي البحث في كونه على الترتيب أو التخيير.

وورد في "كفارة اليمين" صيام ثلاثة أيام لمن لم يجد إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة، من لم يجد إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة، صام ثلاثة أيام، قرأ ابن مسعود متتابعات.

وورد في "فدية الأذى في الحج"، قال: سبحانه وتعالى {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ} [البقرة/196] ، فهذا ثبت في حديث كعب بن عجرة أنه خَيَّره فقال: أنسك شاه أو صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين ثلاثة أصع من تمر.

وورد كذلك في "جزاء قتل الصيد" قال عز وجل: {وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا} [المائدة/95].
وقوم الهدي الذي وجب عليه، (يُقوّم بقيمة الطعام) ويُجعل مكان نصف الصاع أو المدة على قول يوما يصومه، و الأقرب نصف الصاع، والله أعلى وأعلم.

وورد كذلك في "من لم يجد الهدي في التمتع"، قال تعالى { فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ} [البقرة/196]، وهذا ليكتمل له ثواب التمتع الذي هو أفضل أنواع المناسك فيصوم ثلاثة أيام في الحج يُحرم بالحج قبل يوم عرفة بثلاثة أيام ليصومها وعن القول الثاني إذا لم يجد يصوم أيام التشريق، وسبعة إذا رجع إلى أهله كما فسرها ابن عباس، فهذا في صوم الكفارات.

=صوم النذر:

وأما صوم النذر، فإذا نذر الإنسان وتكلم بلسانه بإلزام نفسه بصيام معين، فهو طاعة يجب أن يلزم نفسه بها إلا يوم العيد وما نُهي عنه من الأيام ،
قال والكلام هنا ينحصر في صوم رمضان وفي صوم التطوع، أما بقية الأقسام فالكلام فيهم واضحا وذكرناها مفصلة.

*حكم صوم رمضان:

حكم صوم رمضان، صوم رمضان واجب بالكتاب والسنة والإجماع.

-الدليل على وجوبه في الكتاب:

قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة/183] ، كُتب أي فُرض.
وقال: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} [البقرة/185]، من شهد: أي حضر، والمقصود أن يكون في البلد، لا مسافرا، وليس بمعنى شهد أي شهد الهلال، كما يظن كثير من الناس، فإنه لا يلزم أن يشهد الإنسان الهلال بنفسه أو يراه بنفسه، إذن شهد أي كان شاهداً أي حاضراً في البلد.
فقال: فليصمه، وهذا نَسخ الله عز وجل به صيام الأيام المعدودات الذي كان واجباً قبل فرض رمضان، حيث كانوا يصومون من كل شهر ثلاثة أيام وعاشوراء، فنُسخ وجوب ذلك وبقي مستحبا، وأوجب الله صيام شهر رمضان شكراً لله عز وجل على نعمة القرآن والهُدى والفرقان.

-الدليل على وجوبه في السنة:

قال أما السنة فقول النبي ﷺ : "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت " متفق عليه ،
فجعل هذه الأركان هي التي يقوم عليها هذا الدين، وفقدها أو تركها يُشعر بانحلال قيد انقياد من تركها أو اختلاله، ترك شيء منها يشعر بإنحلال وزوال قيد الانقياد الذي هو الإسلام، أو إختلاله على الأقل، فهو إما ناقص الإيمان والإسلام، وإما قد ذهب إيمانه وإسلامه بالكلية.
في حديث طلحة ابن عبيد الله أن رجلاً سأل النبي ﷺفقال: "يا رسول الله أخبرني عما فرض الله عليَّ من الصيام، قال: شهر رمضان، قال: هل عليَّ غيره، قال: لا إلا أن تطوع " رواه البخاري (1792) ومسلم (11)
بعض العلماء يقول إلا أن تتطوع إذا تطوعت صار فرضاً، إذا شرعت في التطوع صار عليك أن تُكمله، لأنه استثنى فيجعل الاستثناء متصلاً، هل على غيره، قال لا إلا أن تطوع، استثناء متصل بمعنى أنه إذا تطوع لزمه أن يتم، ولا يرون جواز إفطار الصائم المتطوع، وهم الحنفية والمالكية.
وحمل الجمهور إلا أن تطوع، على الاستثناء المنقطع، بمعنى لكن أن تتطوع فخير لك، لكن أن تصوم تطوعاً وسموه تطوعاً واحتجوا بحديث فيه مقال "الصائم المتطوع أمير نفسه " حديث صحيح رواه أحمد والترمذي عن أم هانئ رضي الله عنها ، والذي يدل على صحة معنى هذا الحديث أنه إن شاء صام وإن شاء

أفطر، أن النبي ﷺ أمر إحدى نساءه لما كانت صائمة يوم الجمعة، فقال: أصمتي أمس، قالت: لا، قال: تريدين أن تصومي غدا، قالت: لا، قال: فأفطري إذن.
ولم يأمرها بالقضاء، فدل ذلك على أن الصائم المتطوع أمير نفسه، معنى الحديث الذي فيه مقال وضعف، لكن صحة معناه ثابتة.

-الدليل على وجوبه إجماعا:

قال: وأجمعت الأمة على وجوب صيام رمضان، وأنه أحد أركان الإسلام التي عُلمت من الدين بالضرورة، وأن مُنكره كافرٌ مرتد عن الإسلام، وكذا من طعن فيه مثل أن يقول أنه يُعطّل الإنتاج، أو أنه لا ينبغي أن يكون في رمضان، بل يمكن أن نجعله متنوعا في السنة إما تجديدا كمن يقترح صوم الصيف، وإما تخفيفا كمن يقترح صوم الشتاء، ونحو ذلك من يطعن في صوم رمضان، أو يسعى إلى تدبيره بغيره، وينكر، أو يستحل، أو يستكبر ويأبى الانقياد في هذا الأمر فهو كافر بلا نزاع، وسيأتي الكلام على من أفطر عامداً بغير عذر مع ّإقراره بالوجوب، وهذا الإجماع على وجوب صوم رمضان وعلى أن منكر هذا الفرض كافر لانتشار العلم به حتى عند الكفار، حتى في بلاد الكفر، فقد علم الجميع وجوب صوم رمضان على أهل الإسلام، بحمد الله تبارك وتعالى.

وأما من أفطر عامداً بغير عذر، فهذا قد اختلف فيه العلماء، منهم من كَفّره بالفعل، كما أشار إلى ذلك الإمام الذهبي حيث قال أن أهل الإسلام يظنون به الزندقة والانحلال وأنه شر من الزاني ومدمن الخمر.
وجمهور العلماء يرون المفطر عمداً في نهار رمضان قد ارتكب كبيرة من أعظم الكبائر شرٌ من الزنا وشرب الخمر إلا أنه لا يُكّفر وهو الصحيح لحديث المُجامع فإنه أفطر هو وامرأته وأُمر بالكفارة.

*متى فُرض الصيام:

قال: وكان فرضيته يوم الإثنين لليلتين خلتا من شعبان من السنة الثانية من الهجرة، فأحوال الصيام الأولى كانت قبل فرض رمضان في السنة الثانية، وعلى هذا فيكون النبي ﷺ قد صام تسع رمضانات، من السنة الثانية إلى العاشرة، ومات ﷺ قبل أن يأتي رمضان للسنة الحادية عشر.

*فضل شهر رمضان والعمل فيه:

قال فضل شهر رمضان وفضل العمل فيه، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: لما حضر رمضان "قد جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه تُفتّح فيه أبواب الجنة وتُغلّق فيه أبواب الجحيم وتُغل فيه الشياطين (تسلسل) فيه ليلة خير من ألف شهر من حُرم خيرها فقد حُرم" رواه أحمد والنسائي والبيهقي.
شهر رمضان شهر مبارك كثير الخير، كثر خيره لكثرة العبادات والطاعات وقلة الذنوب والمعاصي، وهذا من المُعجزات الظاهرة برسول الله ﷺ المستمرة عبر العصور.
فإن النبي ﷺ أخبر بفتح أبواب الجنة وتغليق أبواب النيران، وذلك إشارة إلى تسهيل طرق الطاعات

وكف الذنوب والمعاصي، لأن الطاعات تؤدي إلى الجنة والذنوب تؤدي إلى النار، فإذا فُتحت أبواب الجنة، وهو فتحٌ حقيقي، يؤثر في سلوك أهل الأرض من أهل الإسلام، إذ يوفقهم الله فيه للخيرات تقودهم إلى الجنان أكثر من غيره، وكذلك غلق أبواب الجحيم حِسيٌ على ظاهره، تُغّلق أبواب النار في رمضان، ويؤثر غلقها في إبعاد أهل الإسلام عن المعاصي، وإيثارهم الطاعات، كما ذكرنا معجزة ظاهرة عبر السنين في كل أرجاء الأرض يكثر الخير في رمضان وتكثر الطاعات وتقل المعاصي برحمة الله سبحانه وتعالى،

تُغل فيه الشياطين: أي مردتها كما في الرواية الأخرى (وتصفد مردة الجن) وبعض العلماء يقول بل كل الشياطين تصفد وتسلسل، وإن كان تصفيدها لا يمنع من أن توسوس وسوسة ضعيفة لا تنطلق كما كانت تنطلق في غير رمضان، وما يوجد من سوء ومعاصي فلنفوسٍ خبيثة صارت شيطانية الطباع من شياطين الإنس والعياذ بالله.

وأما الذي يسلسل فالجن لا شياطين الإنس بإتفاق العلماء، شياطين الإنس لا يسلسلون ولا يغلون، وإنما تسلسل شياطين الجن إما المردة والعتاة منها، وإما الكل، ولا يلزم امتناع كل الذنوب والمعاصي، فإن النفوس توسوس {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ} [ق/16]وقال عز وجل عن امرأة العزيز {إِنّ النّفْسَ لأَمّارَةٌ بِالسّوَءِ } [يوسف/53]، وقد صُدقت على ذلك، فالنفوس أمارة بالسوء، لذلك نقول من غلبته نفسه في رمضان وشيطانه مسلسل فمتى يغلبها؟.

إذا وقع في الذنوب والمعاصي في رمضان فمتى يتركها؟.

تدل المعاصي والذنوب في رمضان وترك الواجبات في رمضان على خبث النفس، وتمكن المعاصي منها، ونسأل الله أن يعافينا من ذلك، لأنك أعنت أيها المسلم إعانةً عظيمة فإياك أن تضيع هذه الفرصة. الشياطين ليسوا الجن، قلنا شياطين الجن هي التي تسلسل، أما الصالحون من الجن فليسو شياطين أصلاً حتى يسلسلوا، الشيطان من شطن أي بعد عن الخير وعن الحق، فمؤمنو الجن ليسوا شياطين.

وقوله ﷺ "فيه ليلة خير من ألف شهر" رواه النسائي أي ليلة القدر، العبادة فيها خير من عبادة ألف شهر.

أجر مضاعف عظيم، نسأل الله أن يبلغنا رمضان وأن يوفقنا لقيام ليلة القدر وأن يوفقنا إلى صيامه إيمانا واحتسابا وقيامه إيمانا واحتسابا وقيام ليلة القدر وموافقتها إيمانا واحتسابا.

وعن عرفجة قال كنت عند عُتبة بن فرقم وهو يُحدّث عن رمضان قال: دخل علينا رجل من أصحاب محمد ﷺ، فلما رآه عُتبة هابه فسكت، أي سكت احتراماً لوجود الصحابة، قال: فحدث عن رمضان، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في رمضان: "تغلق أبواب النار وتفتح أبواب الجنة وتصفد فيه الشياطين، قال: وينادي فيه مَلك: يا باغي الخير أبشر ويا باغي الشر أقصر، أي توقف عن الشر، حتى ينقضي رمضان" رواه أحمد والنسائي.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر " رواه مسلم.

هذا الشرط في تكفير السيئات أن تُجتنب الكبائر، وإذا ارتكبت الكبائر لم يكن وعد من الله عز وجل بالتكفير، ولكن يمكن إذا اجتمعت أن يُكَفر.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "من صام رمضان وعرف حدوده وتَحفّظ مما كان ينبغي أن يتحفظ منه كان كفارة لما قبله" رواه أحمد والبيهقي بسند جيد فيه ضعف لكن المعنى ثابت بالذي قبله.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه" الحديث متفق عليه

ما كان يحسن أن يقول رواه أحمد وأصحاب السنن وهو في الصحيحين.

إيماناً: تصديقاً بوجوبه وانقياداً لأمر الله سبحانه وتعالى وامتثالاً لأمره، واحتسابا: نيةً خالصةً ابتغاء الأجر من الله عز وجل.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.